ومن فصوله القصار الجارية مجرى الحكم قوله

لا يدرك الوسائط من لم يبرح من البسائط • من صفت سريرته • انفتحت بصيرته • طرق الله لا تحصى للإكثار • وأقربها إليه الذل والانكسار • الخمول يذهب الحجب • والشهرة تورث العجب • من لم يكمل عقله • لا يمكن نقله • نحن في القرن العاشر • أحذر أن تعاشر • في القرن العاشر من الغرور • شبيه بالصالحين الظنون • المحبة تهيج النسب • وثمرة المكتسب • الأخ من يعرف حال أخيه في حياته • وبعد ما يواريه في مماته • إذا انقضت أحوال الشريعة • فأشراط الساعة سريعة

وله فروع يتسقف في دوحة بستانه • ويروق بصيب الأنواء من صوب هتانه • أشرق بحورهم إشراق الشمس • وقاموا للزائرات الفضل مقام الحواس الخمس

ثمنهم

محمد الكبير

الذي لا يفي بوصفه التعبير • قام بعد أبيه خليفة • واتخذ الزهد سميره وحليفه • فكأنه لم يمت من خلفه • ولا غاب عن أهله من استخلفه • فهو البقية الصالحة وتقتفيها الكرام • والذات الفاضلة اللائقة بالإكرام • إلا أنه لم يطل عمره • ولا خلص من الوهن جسمه وأمره • فلا زالت رحمة الله تحييه • وتحييه • ومن المعلوم أن المورد واحد • وشتان فيه ولد ووالد • وهو معدود من رجال الطريق • منخرط في سلك ذلك الفريق • وله فضل ومجد • وأخلاق تحكي صبا نجد • مع تبتل وركون وإنابة إلى الله في حركة وسكون • وبالجملة فمقداره عظيم • لكنه مقل من النثر والنظم • ولم يحضرني من شعره إلا قوله

يا صاح إن الشعر يزري بذي الحسن • وإن كان بديع الجمال
أما ترى الأنفس من شمعة • تعافه لما اعترت الكلال

وهذا معنى تداولته الشعراء والسابق إليه أبو إسحق الغزي في قوله

يقولون ما الحسن تحت عذاره • على الحالة الأولى وذاك غرور
السنا تعاف الماء من أجل شمعه • إذا وقعت في الماء وهو نمير

أبو السعود

حلبي

واسطة عقدهم المقتنى • وغصن روضهم المجتنى • وخير ذكرهم المردد • ولسان حالهم المجدد • يروقك بحلاه • ويجليه أياديه معتلاه • كرم فرعًا وأصلًا • وشرف حسبًا وفضلًا • وله فضل أضحى به حائز المناقب • وأدب تشرق به نجوم الحبل الثواقب • وبيني وبينه موالاة محققة • وعهود موثقة • وكلام نشأ عن أزكى من الزهر وتفتقه • ورأيت له أشعارًا أرق من انطباع ماويه • لها بكل قلب بلطفها موقع ما خلوة في زاويه • ومما استحسنته منها • تضمينه شطر سينية ابن الفارض • فناصفها شطر الحسن كما ناصف حسن الخد بالعارض

وهي هذه

قف بالديار وحي الأربع الدرسا • مخاطبًا لرسيس الشوق مقتبسا

واسترحم القول بادي الرأي محتبسا • ونادها فعساها أن تجيب عسى
وإن أجنك ليل من توحشها • فلا تكن آيسًا لا كان من أيسا
خذ من زناد الهوى نارًا مشعشعة • فأشعل من الشوق في أحشائها قبسا
يا هل درى النفر الغادون عن كلف • موله دنف كاس الغرام حسا
تراه مستصحبًا الأذكار ذا حرق • يبيت جنح الليالي يرقب الغلسا
فإن بكى في قفار خلتها لججا • ما شامها ناظر إلا همى وحسا
وإن جنت نار زاد الغرام به • وإن تنفس عادت كلها يبسا
فذو المحاسن لا تحصى محاسنه • إذا رآه عذول صار مختنسا
ومن أبيت فلا فقد لوحشته • وبارع الحسن لم أعدم به أنسا
بدر السنا والدجى يرتد من حنق • وحسن إشراقه بالشمس قد حرسا
فالزهر ترمقه عجبا برونقه • والكهرب يسرع عن وجه الدجى عبسا
وابتز قلبي قسرًا قلت مظلمة • فحسبي الله مما قد جنى وقسا
جرحتني فأنا المحتار واسمعي • يا حاكم الحب هذا القلب لم حبسا
زرعت باللحظ وردًا فوق وجنته • فأثمرت منه لي في ناظري آسا
إن رمت أقطف عطرًا رائحته • حقًا لطرفي أن يجني الذي غرسا
فإن أبى فالأقاحي منه لي عوض • أورد ثم القلب حيث الحب فيه رسا
جعلته راحتي ما في مقدد بحثت به • من عوض الدر عن در فما بخسا
إن صال صل عذاريه فلا حرج • إن عاد منه صحيح الجسم منتكسا
فهذه سنة للعشق واجبة • أن يجتني لسعًا إن يجتني لعسا
كم بات طوع يدي والوصل يجمعنا • لم يخطر الشوق في قلبي ولا هجسا
وزاد في نعمة إذ كان مذ أنفته • في بردي التقى لا نعرف الدنسا
تلك الليالي التي أعدد من عمري • بالشيب يعتب والدهر ما نكسا
ويا سقى الله أيامًا لنا سلفت • مع الأحبة كانت كلها عرسا
لم يحل للعين شيء بعد بعدهم • فما صبا دونهم صب الجوى ونسا
ولا نسمت نسيمًا استلذ به • والقلب مذ نسي التذكار ما أنسا
يا جيرة فارقتها النفس مكرهة • أبقى اتصالي بنجوى نيل المنى نفسا
وحق موثق عهد لا انفكاك له • لولا التأسي بدار الخلد مت أسى

أحمد بن محمد المهمنداري الحلبي الحنفي

أنجز الكرم ما وعدا • وورد من المجد موردًا • ثم طلع شهابًا فكان في ثغر الشام • وهب نسيمًا فحرك طرب الأغصان البسام • واستقر بروضها الزاهر استقرار الغمض في الجفن الساهر • تعبد الأعين بصفاته • وقيد الأفكار بلحظه والتفاته • وهو نسيج وحده استعمالًا على الفضل واشتمالًا • وتعقيد نسجه أبدًا لتمائم المعوذ إعمالًا • تحلى بخلق لو كان للروض ما ذبل زهر الشتاء نوره • وكرم يدرك غور البحر ولا يدرك غوره • وحلم ما شيب بوهن

Copyright ... University